عبد السلام حيدوري

فوكو
وأنطولوجيا الحاضر
من الانشغال الأنتربولوجي
إلى الاضطلاع الإتيقي السياسي

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث

فوكو وأنطولوجيا الحاضر
Fūkū wa Anṭūlūjiya al-Ḥāḍir

تأليف: عبد السلام حيدوري
عدد الصفحات: 204
قياس الصفحة: 14X21 سم
تاريخ الطبعة: 2018م
رقم الطبعة: الأولى
التصنيف الموضوعي: 920
الترقيم الدولي: 978-614-8030-50-5

الناشر
مؤمنون بلا حدود
للنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة
مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث

المملكة المغربية - الرباط - أكدال
تقاطع زنقة بهت وشارع فال ولد عمير
عمارة ب، طابق 4، جانب مسجد بدر
ص.ب 10569
هاتف: 212 537779954+
فاكس: 212 537778827+
Email: info@mominoun.com

لبنان - بيروت
الحمراء - شارع المقدسي - بناء بلبيسي
ص.ب 6306-113
هاتف: 961 1747422+
فاكس: 961 1747433+
Email: publishing@mominoun.com

Author: ʻAbd al-Salām Ḥaydūrī
Pages: 204
Size: 14 X 21 cm
Edition Date: 2018
Edition No.: 1st
Subject Classification: 920
ISBN: 978-614-8030-50-5

Publisher
Mominoun Without Borders
for Publishing & Distribution

All rights resereved
Mominoun Without Borders Institution

Morocco, Rabat, Agdal
11 RUE GABES (CENTRE-VILLE)
P.O.Box 10569
Tel: +212 537779954
Fax: +212 537778827
Email: info@mominoun.com

Lebanon - Beirut
al-Hamra - Maqdisi St. - Balbisi Build.
P.O.Box 113-6306
Tel: +961 1747422
Fax: +961 1747433
Email: publishing@mominoun.com

www.mominoun.com

الآراء الواردة في هذا الكتاب لاتعبر بالضرورة عن اتجاهات تتبناها
مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث

الموزع المعتمد في المغرب العربي
المركز الثقافي للكتاب للنشر والتوزيع
المغرب - الدار البيضاء - 6 زنقة التيكر
هاتف: 212 522810406+
فاكس: 212 522810407+
Email: markazkitab@gmail.com

المحتوى

مقدمة 11

الفصل الأول: الذات في ضوء أنطولوجيا الحاضر 25

1- أنطولوجيا الحاضر 25

2- من نقد العقل إلى نقد الحاضر 38

الفصل الثاني: الحداثة والثورة 71

1- التنوير والحداثة 71

2- حدود التنوير والحداثة الجمالية/ فوكو قارئاً بودلير .. 90

الفصل الثالث: العناية بالذات 127

1- العناية بالذات تجربةً إتيقية 127

2- شجاعة الحقيقة وتقنية الوقاحة 145

الخاتمة 168

جريدة المصادر والمراجع 177

الفهرس 197

المقدّمة

إن إقدامنا على التعامل مع ميشيل فوكو اختياراً، ونتحمّله لا لأنّه أكثر تفلسفاً، أو تفرّداً، من غيره من الفلاسفة؛ بل لأننا رأينا فيه فيلسوف الراهنية، الذي يحثّنا على التفكير؛ بل ولا يجعل من التفكير ترفاً؛ بل انشغالاً ومقاومةً: «أمامنا اليوم عمل فكري هائل هو إدارة الدول الرأسمالية... ونمط المجتمعات الخاصة بمختلف هذه الدول، وحصيلة الحركات الثورية في العالم، وتنظيم استراتيجية الأحزاب والتنمية في سائر الأماكن، وأجهزة القمع والتعذيب، والمؤسسات الأمنية، والعلاقة الشائكة بين النضالات المحلية والرهانات العامة، كلّ هذه المسائل تطرح علينا مشكلات صعبة»[1].

ولأن ما كتبه فوكو يجب أن تُعاد كتابته اليوم؛ نظراً لأن ما كتبه إنّما ينطبق على ما هو راهن، إنه يبني ويهدم، ويكون فرضيات، وينشئ تماثلات، ويروي أشياء غامضة، ويلوّح

(1) Foucault (M.), Dits et écrits, édition établie sous la direction de Daniel Defert et François Ewald, Vol. III, 1980-1988, Paris, Gallimard, 1994. p. 717.

بمفاهيم، ويراجعها، ويسحبها، ويغيّرها، إنّه فكرٌ قوامه إبداع لا يتوقّف، ومقاومة لا تيأس. فالجديد مع فوكو هو ما يتطلبه التفكير من نظر وكلام، ومن سلطة واقتدار، ومن فعل، ومقاومة، وسترجة؛ وهو ما يجعل من الفلسفة انشغالاً بما يحدث، وسعي إلى تشخيصه لمعرفة ما يتخفّى في انثناءاته: «... وفي النص حول الثورة، وهذا التراث النقدي الجديد يطرح السؤال: ما هي آنيتنا؟ وما هو المجال الحالي للتجارب الممكنة؟ والأمر لا يتعلق، هنا، بتحليلية الحقيقة؛ بل بما يمكن أن نسميه بأنطولوجيا الحاضر؛ أي أنطولوجيا نحن ذواتنا»[1].

ولأننا إزاء فيلسوف جعل من الكتابة[2]، في حدّ ذاتها،

(1) انظر: نص الدرس الأول لسنة 1983م، حكم الذات وحكم الآخرين؛ قراءة فوكو لنص: ما التنوير؟
ورد التعريب في مجلة الجمعية التونسية للدراسات الفلسفية، العدد الخاص بكانط والثورة، مصدر سابق، ص17.

(2) Foucault (M.), L'herméneutique du sujet, Cours au collège de France, 1981-1982, Paris, Gallimard Seuil 2001, p. 13.
نجد في هذا الدرس تأكيد أهمية الكتابة في ممارسة الذات، وفن التحكم في الذات؛ إنها تمثّل، في نظر فوكو، إحدى التقنيات التي تهدف إلى ربط الحقيقة بالذات، وتمثل الكتابة، في هذا السياق، ثقافة كاملة تتجلى في تدوين ملاحظات تتعلق بقراءات، وأحاديث، وأفكار، يقع الاستماع إليها، أو يعدّها المرء لنفسه، كما تتجلى في ما يخصّص من دفاتر للمواضيع المهمّة، وهو ما يسمّيه اليونانيون الـ (hupomnèmata). لا تقتصر أهمية الكتابة على ذلك فحسب، بل تتعداه إلى مستوى علاقتها الإشكالية بالخطاب، واللغة، والتاريخ، والمهيجات، وعمليات التطهير، والحقيقة، وتأويلية الذات. =

استشكالاً قائماً في الفلسفة، فما بالنا بفعل القراءة والتفكير، بما هما تمرين وتمرّس يُكسب الذات القدرة على النقد، والمقاومة، والعلاج؛ نقداً من جهة القدرة على التخلّص من كل العادات السيئة، ونسيان المرء لما حفظه من آراء خاطئة وأحكام عامة، وتلك هي إحدى المهمّات الأساسيّة في ثقافة الذات؛ ومقاومة من جهة أن التفكير هو معركة دائمة تتطلّب إعطاء الذات الأسلحة والشجاعة التي ستمكّنها من المقاومة طوال حياتها[1]؛ وعلاجاً من جهة القدرة على التخلُّص من الهوى (pathos)، الذي يدلُّ على هوى النفس مثلما يدلّ على مرض الجسد. ومهمّة الفلسفة، حينها، حسب التحديد الأبيقوري، ستكون معالجة أمراض النفس

= يقول فوكو في سياق تأكيده أهمية الكتابة ومكاسبها:

«Je dirais que Jacques Almira fabrique des choses à voir, avec des mots, des phrases, il décompose, il recompose, il bâtit et brusquement vous avez un geste, un visage, un masque, un parfum». D.E. Vol.II, Paris, Gallimard, 1994, p. 731.

(1) يشير فوكو، في هذا السياق، إلى استعارتين يونانيتين هما استعارة المبارزة الرياضية (إننا نشبه في حياتنا المصارع الذي عليه أن يتخلّص من منافسيه بالتعاقب، ويجب أن يتمرّن حتى عندما لا يتبارز)؛ واستعارة الحرب (يجب أن تكون النفس مهيأة مثل جيش لهجوم العدو المحتمل في كل وقت). انظر في هذا الصدد:

- Foucault (M.), L'herméneutique du sujet. Op.cit.pp. 395-406.

- Foucault (M.), Dits et écrits, édition établie sous la direction de Daniel Defert et François Ewald, Vol. 4, 1980-1988, Paris, Gallimard, 1994. pp. 353-365.

- دروس ميشيل فوكو، 1970-1982، ترجمة محمد ميلاد، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1994م، ص81.

والجسد، ووفق التقدير الرواقي فالفلسفة تنتمي إلى دائرة الطبّ نفسها، فهما يشكّلان، وفق العبارة اليونانية (miachôra)[1]، منطقة واحدة بشكل تصبح فيه الفلسفة تطهيراً وعلاجاً؛ أي كالدّواء (pharmakon) الذي نتزوّد به لمواجهة تقلّبات الحياة كلّها.

ولأن أسلوب الكتابة مع فوكو تحوّل إلى ضرب من المقاومة؛ الكتابة بما هي بحث في طيّات الكلمات في سطحها وعمقها، وفي ثنايا الخطاب، وفي تفاصيل العبارة؛ في انكساراتها، وخوائها، وتموّجاتها، واقترابها، أو ابتعادها، من الحقيقة. ولأن منهجه بمثابة حركة بين الماضي والحاضر، أو حركة الماضي في الحاضر، والحاضر في المستقبل، حيث يكون الراهن هو المركز؛ وفوكو يُوجد، هنا، في الراهن، بتقلّباته، وغموضه، والتباساته، بعُدّة منهجية تتراوح بين الأركيولوجيا، والجينالوجيا، والأنطولوجيا التاريخية؛ فهو بهذا العتاد المنهجي يكون في اللحظة التي يتولّد فيها السؤال، وحيث يكون السؤال يكون فوكو حاضراً.

ولأن هذا الحاضر هو مجال تشكّل فكر فوكو، وما يثيره من استشكالات أثارها فوكو من جهة منظورية، ولا سيّما للمشكل الفلسفي ذاته، في تمفصلاته، وتعقيداته، وتلويناته، والتي تجعل من المنهج الذي اعتمده الفيلسوف، أو الذي عرف به (الأركيولوجيا - الجينالوجيا، إشكالاً متميّزاً يتجاوز به المنحى،

(1) المصدر نفسه، ص81.

الذي عهدناه في الفلسفة قديمها وحديثها، عن ما يمكن أن يُقال في المنهج، وعن السّبل الممكنة لبلوغ الحقيقة التي لم تعد مطلباً حميميّاً للفيلسوف؛ بل أصبحت لعبة (La vérité comme jeu) في طيّاتها تتخفّى علاقات السلطة والمقاومة.

ومن ثمّ إن محاولة الاضطلاع بمنظورية فوكو للحاضر، وبمشروعه الفلسفي في رمّته، يستوجب منا وضع طريقة في التفكير تتفاعل مع الزمنية وحاضر البشر: «إن الاهتمام بقول ما يحدث ليس مسكوناً كليّاً بالرغبة في معرفة كيف يمكن أن يحدث في كل مكان وزمان؛ بل بالأحرى، بالرغبة في تخمين ما يختفي تحت ذلك اللفظ العائم الغريب شديد البساطة ألا وهو: اليوم؟»[1].

ولأن العودة إلى فوكو، اليوم، تمكّننا من أن نعيد تأويل ما أنتجه فوكو في ضوء تأويل إرثنا الثقافي العربي، والاهتمام بأشيائنا، وأفكارنا، وانتظاراتنا، ورهاناتنا، في مناخنا الثقافي العربي الإسلامي، الذي احتوى، ولايزال يحتوي، محرّمات لا يجوز التحدث عنها بروح نقدية إلّا سرّاً، وكل تفكير حرّ يحاكم قيامياً باسم المقدّس؛ بل ويكفّر التفكير تحت رايات التوحيد وفنون القتل.

ولأن ما كان يُراهن عليه فوكو في قراءته لإرثه الثقافي هو القيام بمهمته كمثقف مميّز، والتي تكمن في: «شجب علاقات

(1) Foucault (M.), «Pour une morale de l'inconfort», in, D.E., vol. III, op.cit., p. 783.

السلطة الخفيّة، وإثارة المقاومات، وإتاحة التعبير للأصوات، التي غالباً ما تكون مخنوقة وممنوعة من الكتابة والكلام، وإنتاج المعارف الحقيقية، التي بإمكانها أن تتصدى لكيفيات الحكم المسيطرة، ولاستراتيجيات إخضاع الذوات وموضعتها، والهيمنة على المجموعات وعزلها، من أجل توفير الفرص لإبداع ذاتيات جديدة، وتحدي حرياتنا وإمكانياتنا على العمل، وإبراز تاريخانية أنظمة معارفنا وأنظمة السلطة، وخلق الذاتية والبرهنة على أن لا شيء مقدّر علينا»[1].

إن الكتابة حول فيلسوف جعل من الكتابة: «تجميع المُقال قبلاً؛ تجميع ما يمكن سماعه، أو قراءته؛ وذلك بهدف تكوين الذات ليس إلا»[2]؛ هي مهمّة تتعدّى قول اللامنقال إلى وسيلة لإقامة علاقة مع الذات ملائمة وكاملة بقدر الإمكان؛ بل تقنيّة تساعد الذات على التكوّن بأنظمتها الرمزية، وفيها تكوّناً سياسياً، وإتيقاً وإستيطيقياً. فالكتابة «صراع ومقاومة، الكتابة صيرورة، الكتابة رسم لخرائط»[3]. فأن نكتب عن فوكو هو أن ننخرط في الصراع وفعل المقاومة، وفي أسلوب الكتابة يتمفصل الإتيقي مع الإستيطيقي والسياسي؛ بل إن أسلوب الكتابة هو بمثابة فعل مأسسة وشرعنة لعلاقات قوى جديدة ترتكز على إبداع أنماط

(1) Frédéric (G.), Michel Foucault, op.cit., pp. 120-121.

(2) المصدر نفسه، ص214.

(3) دلوز، جيل، المعرفة والسلطة، مدخل لقراءة فوكو، ترجمة سالم يفوت، بيروت - لبنان، ط1، (د.ت)، ص51.

السؤال الفلسفي مع فوكو هو سؤال في الحاضر؛ سؤال عن من نحن، ومن نكون، في اللحظة التي نطرح فيها هذه الأسئلة؟ إنه سؤال الراهنية.

هل تساعدنا تحليلات فوكو في فهم الحاضر، واستشراف المستقبل؟ هل تحتاج تحليلات فوكو إلى مراجعة وإعادة نظر؟

إنه نوع جديد من التفكير؛ على نحو مختلف، وهو يُعنَى بتفكّر الذات في صلاتها المعقدة بالمعرفة والسلطة والأخلاق، في ضوء قيام أنطولوجيا الحاضر بما هي تتويج لنهاية المشروع الفلسفي لفوكو، وما تطرحه، بدورها، من صلات إشكالية بالحداثة والثورة والمقاومة بأنواعها، حيث يتحوّل حقل التاريخ إلى مجال للتفلسف يقطع مع عودة المقولات الثابتة والمسلّمات الميتافيزيقية، ويتجاوز المفاهيم التي قامت عليها نظريات المعرفة، ويفكك الواقع، ويقوّض الهوية؛ أي تجاوز التاريخ بمعناه التقليدي للحفر في خفايا الأرشيف المكوّن للبنى المعرفية التاريخية والاجتماعية والثقافية.

العودة إلى فوكو، اليوم، تمكّننا من أن نعيد تأويل ما أنتجه في ضوء تأويل إرثنا الثقافي العربي، والاهتمام بأشيائنا وأفكارنا وانتظاراتنا ورهاناتنا، في مناخنا الثقافي العربي الإسلامي، الذي احتوى، ولايزال، على محرّمات لا يجوز التحدث عنها بروح نقدية إلّا نجوى، وكل تفكير حرّ يحاكم قيامياً باسم المقدّس؛ بل ويكفّر التفكير تحت رايات التوحيد وفنون القتل.

إن فلسفة فوكو هي فعل تفكر في الراهن، تساعدنا في مقاومة السلطات وممارسة الحرية. إنها فضاء حرب مستمرة.

عبد السلام حيدوري: باحث تونسي متخصص في الفلسفة

ISBN 978-614-8030-50-5

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للنشر والتوزيع